

## مظاهر التعليم في بوادي المغرب الأوسط (7-9هـ / 13-15م)

أ.د. عبد العزيز فيلالي  
جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة  
طالب دكتوراه: كروم عيسى  
جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة

تاريخ الارسال: 2017-08-22 / تاريخ القبول: 2018-05-06 / تاريخ النشر: 2020-01-30.

### - الملخص:

تميزت فترة القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط بانتشار التعليم في كامل ربوع بلاد المغرب الأوسط، ولم يكن مقتصرًا على المدن فقط بل وصل إلى جميع القرى في البوادي، غير أن الحياة في البوادي لم تكن شبيهة بتمثيلاتها في المدن، وهذا الاختلاف في نمط المعيشة جعله يؤثر على بقية نواحي الحياة، ومنها الحياة العلمية، فشكل التعليم في البوادي لم يكن هو نفسه في المدن، حيث سادته مجموعة من الظواهر جعلتنا نقف عندها لنأمل حيثياتها، وجوهر وجودها، وسر مكوناتها، وتأثيرها على العملية التعليمية عند الصبيان، ومنها مكان التعليم، وكيفية تأجير المعلم، وظاهرة التبرعات والهدايا التي تهدى للمعلم واحتفالية ختمة القرآن الكريم أو ما يعرف بتزويق لوحة حفظ القرآن.

- الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، التعليم، البادية، الحذقة، خميس الطالب، الختمة، حفظ القرآن، تزويق لوحة الحفظ.

### Abstract:

The period of the last three centuries of the Middle Ages was characterized by the spread of education throughout the entire Maghreb. It was not limited to cities but to all the villages in the country. However, the pattern and form of education in the country differed from that in the cities. Therefore a variety of phenomena have characterized it and led us to contemplate its origins, the essence of its existence, the secret of its components, and its impact on the educational process with regard to children, including the method of teacher's salaries, the phenomenon of donations and gifts given to the teacher and the celebration of the memorization of the Quran, or what is known as the decoration of the Quran memorization plate.

## مقدمة

تعتبر الدراسات الخاصة بالبادية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، من المواضيع الجديرة بالبحث وذلك لصمت معظم المصادر الحديث عنها إلا بعض الإشارات الطفيفة، ويشكل موضوع التعليم ومظاهره في البادية من بين القضايا الهامة التي تستدعي من الباحثين النظر فيها. من الثابت أن كل ما وصلنا من معلومات حول الحياة العلمية في المغرب الأوسط، هي خاصة بالمدن والحوضر؛ أما بالنسبة للبادية فإن المعلومات عنها شحيحة، ولا تزال مبعثرة في بطون كتب التراجم، وكتب النوازل الفقهية، وهذا الأمر يتطلب بذل مجهود كبير لنفض الغبار عنها، إذ أن الأخبار عن البادية شبه غائبة بالقياس إلى التراكم الكمي الذي صدر حول المدن. شهدت فترة الثلاثة قرون الأخيرة من العصر الوسيط، أرقى نهضة علمية في المغرب الأوسط، فقد وصل فيها العلم في بعض مدنه درجة التنافس مع بقية مدن أصقاع العالم، وذلك لعناية الأولياء، والحكام للعلم والعلماء وكثرة المراكز العلمية من مدارس ومساجد، فظهرت أسماء لامعة تركت لنا كمًا هائلًا من المؤلفات في مختلف العلوم.

ضمن هذا الإطار سنحاول رصد جملة من المظاهر التي ميزت نمط التعليم في بادية المغرب الأوسط، من خلال معالجة الإشكالية التالية : كيف كانت وضعية التعليم في بادية المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلادين، وما الذي كان يميزه عن التعليم في المدينة؟

سنعالج هذه الإشكالية من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية: ما نصيب أهل البادية من التعليم خلال هذه الفترة مقارنة مع أهل الحضر؟ من كان يقوم بعملية التعليم؟ وأين كان يتم ؟ وما هي طرق التدريس؟

### 1 - مفهوم البادية:

البدو والبادية والبداءة: خلاف الحضر، والحضارة؛ فالبادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، والبداءة بالكسر والفتح الإقامة في البادية.<sup>1</sup> فالبادية تمثل المجال الجغرافي والحيوي للقبائل المتنقلة لاسيما المعتمدة على الرعي والكثيرة الترحال. وهناك لفظ الريف وهو أيضا يطلق على من يسكن خارج المدينة، حيث ورد في لسان العرب أنه يعني الخصب والسعة في المأكل، والريف ما قارب أرض الماء، وهو كل أرض فيها زرع ونخل،<sup>2</sup> وعليه فإن الريف مرتبط بالنشاط الزراعي. تعتبر المقدمة لابن خلدون أهم منتج تاريخي تعرض للبدو والبادية خلال الفترة المدروسة، حيث خصص لها فصولا كاملة تستحق الإشارة إليها للمعرفة الواقع البدوي، فبين النشاط الاقتصادي فيها فقال "منهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود"<sup>3</sup>، ثم يبين أن حاجات أهل البدو الضرورية في الحياة بقوله "هم

مقتصرون على الضروري في أحوالهم"،<sup>4</sup> "وهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما يطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها".<sup>5</sup>

من خلال ما سبق ذكره، فإن ساكني البادية يشمل كل من هم خارج المدينة سواء المستقرون أو الرحل، فمنهم من يعتمد على فلاح الأرض كمصدر أساسي لمعيشتهم ومنهم من يعتمد على تربية الحيوانات أيضا كمصدر أساسي في حياتهم؛ وعليه فإن هذه الدراسة تشمل كل من يسكن خارج المدينة سواء المستقرون منهم أو الرحل.

## 2 - واقع التعليم في البادية

تعد الكتاتيب والزوايا والمساجد من أهم المؤسسات التي اضطلعت بدور التعليم في العصر الوسيط، فقد دأب أهل المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي على تعليم أولادهم في هذه المؤسسات الدينية.

كان تعليم الصبيان في مراحله الأولى في الحواضر يتم في زاوية من زوايا المسجد، أو أمام المحراب،<sup>6</sup> لكن بعد الضيق الذي عرفته المساجد، وكذلك لنهي الفقهاء على تعليم الصبيان في المساجد تجنباً للنجاسة،<sup>7</sup> انفصل في أماكن مستقلة تسمى الكتاتيب.<sup>8</sup> وإذا كانت المؤسسات التعليمية في المدن تحظى بالقدر الكبير من الاهتمام، والرعاية وكثرة الأوقاف عليها؛ فإنها لم تتل نفس الحظ في البوادي، بل وصل الأمر في عدد من القرى إلى امتناع بعضهم من إقامة الجماعة، وبناء المسجد وأخذ المؤدب لقراءة أولادهم.<sup>9</sup>

اقتصرت تعليم الصبيان في البادية على مكان واحد هو الجامع<sup>10</sup> بغض النظر عن مساحته، فأغلب المساجد في البادية كانت بسيطة وصغيرة قدر كفاية سكانها، تخصص جهة بداخله أو بجانبه لتعليم الصبيان، وكان الأثاث الموجود فيه بسيطا عبارة عن حصير مصنوع من الحلفاء، أو الدوم وألواح خشبية وأقلام من القصب، وقطع من الصلصال ودواة من الصمغ والصوف وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة؛<sup>11</sup> كما تجدر الإشارة إلى وجود "خيمة مدرسية عند البدو" كانت تستعمل لتعليم الصبيان وفي نفس الوقت فهو مصلى كبير تقام فيه الصلوات.<sup>12</sup>

أسند التعليم في المرحلة الأولى (أي الابتدائي) إلى معلم القرآن، ويسمى أيضا بالمؤدب،<sup>13</sup> ولكن لم يكن سهلا على أهل البادية إيجاد معلم لأبنائهم، فالمعلمون كانوا يفضلون المدن والحواضر، بسبب ارتفاع الأجرة فيها عن البادية؛ ومعظم الذين كانوا يُقدّمون على التعليم في البادية كانوا ممن يتعففون، ويرضون بالقليل محتسبين ذلك لوجه الله<sup>14</sup>؛ ومهما يكن من أمر فإن معلم الصبيان في الكتّاب لم يكن يضمن للمعلم عيشة راضية، فقد وصفها البعض بأنها حرفة محتقرة،<sup>15</sup> كما كان المعلم يقوم بوظائف أخرى حيث كان أهل القرية يتعاقدون مع معلم لتعليم أبنائهم، وفي نفس الوقت يقوم بالإمامة والأذان.<sup>16</sup>

### 3 - أجره المعلم في البادية

بعد الانتشار الواسع للعلم كان من الطبيعي إسناد هذه العملية لمن هم أهلا لها، فظهرت مهنة المعلم، ولما كانت هذه المهمة تتطلب من صاحبها التفرغ لها، كان يستوجب تأجير من يقوم بها، فظهرت معها مسائل يسأل فيها الناس عن أجره من يمتن التعليم، وفي هذا الصدد أفتى السعيد العقباني<sup>17</sup> بجواز إجارة المعلم كي لا يشغلهم طلب المعيشة عن التعليم؛ وفي ذات النازلة أفتى بعدم طلب المعلم الإذن من شيخه فالتعليم لا يحتاج إلى إجازة<sup>18</sup>.

ومن الظواهر التي كانت منتشرة خلال الفترة المدروسة اجتياح الغصاب والعرب على كثير من المناطق، وكانوا يهتمون بتعليم أبنائهم، في هذا الصدد أباح الفقهاء حسب ما جاء في الدرر عن تعليم القرآن لأولاد الغصاب، وأشياخ الرعايا بأجرة، فأباح الفقهاء أخذ الأجرة منهم مقابل تعليم صبيانهم<sup>19</sup>.

كان أهل القرية إذا ما وجدوا معلما لأبنائهم يتعاقدون معه حسب العرف السائد عندهم، من بين الشروط التي يتضمنها العقد هو مقدار الأجرة، وهل تكون سنوية أم شهرية، إلى جانب المدة وعدد الأولاد<sup>20</sup>. فبالنسبة للأجرة لم تكن شبيهة بتلك الموجودة في المدينة، حيث كانت أجره المعلم في الحواضر بالنقود بينما كانت تختلف عنها في البوادي؛ إذ كان أهل القرى والبوادي يتفقون مع المعلم على مقدار معين مما ينتجون من غلات زراعية، أو حيوانية.

لقد زودتنا النوازل الفقهية بمعلومات في غاية الأهمية تعكس ظاهرة الأجرة بغير النقود العينية عند أهل البادية، والتي عرفت انتشارا واسعا في جميع بوادي المغرب الأوسط، ففي إحداها تذكر أن أناس اتفقوا مع معلم لأولادهم بأربعين شاة عن ستة عشر ولدا؛<sup>21</sup> على الرغم من أن النازلة لم تحدد المدة، إلا أن العادة كانت عندهم يتعاقدون لمدة سنة، وما يمكن استنتاجه من مختلف النوازل التي تطرقت إلى مثل هذه الأمور أن الناس كانوا يعتمدون على غالب ما ينتجون سواء من الماشية أو من المحصول الزراعي، ففي نازلة أخرى تقول أنهم تعاقدوا مع إمام بزرع زمن الصيف بكيل معلوم<sup>22</sup>؛ وذكر في المعيار أن أهل قرية استأجروا إماما للصلاة على من تجب عليه الصلاة بطعام<sup>23</sup>.

لم يكن التعامل بهذه الصيغة مع معلم القرآن فقط، بل إن الأجرة عندهم كانت عامة، ونلمس هذا الأمر من إشارة وردت في إحدى النوازل سئل فيها الفقيه عبد الرحمن الوغليسي<sup>24</sup> "عن أجير بأجرة أهل البادية".<sup>25</sup> فهذه العبارة تدل على شيوع الأجرة بغير النقود عندهم، ومن المرجح أن سبب اعتماد أهل البادية على الغلات الزراعية، والحيوانية في إجارته يعود إلى افتقارهم إلى النقود، ويؤكد هذا الطرح ابن خلدون في قوله "فالنقود والدرهم في هذه المناطق مفقودة"،<sup>26</sup> هذا إلى

جانب الفقر المنتشر في البادية عنه في المدينة حتى أن بعضا منهم كان لا يقدر على نفقة أولاده مهما كان نوع الأجرة.

وما دام تعليم الأبناء له أعباء ولم يكن باستطاعة الآباء الالتزام بدفع نفقة المعلم، فقد سعى بعضهم إلى البحث عن حلول كالتطوع لحرث الأرض المحبسة على المسجد، ويعصرون زيتونها، وكرومها، ويمدون الإمام بمنتجاتها في موسم الجني، غير أن هناك من كان الفقر والعوز عائقا أمامهم فوجهوا أبناءهم للحرفة أو الصنعة عوض التحصيل العلمي بسبب الحاجة و الخصاصة<sup>27</sup>.

#### 4 - دور الآباء التعليمي وعلاقتهم بالمعلم

لقد أشار ابن خلدون إلى أهمية تعليم الصبيان القرآن في الصغر بقوله "...وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده..."، وقد جعل الفقهاء أجر الآباء في تعليم أبنائهم القرآن أعظم من الحج والرباط و الجهاد،<sup>28</sup> و كان العرف السائد عند أهل المغرب الأوسط أن تعليم الصبيان يقع على عاتق الآباء، وحرصا منهم سعى الآباء في البوادي على تعليم أبنائهم، على الرغم من الصعاب التي اعترضتهم مثل عدم قدرتهم على الإنفاق وصعوبة إيجاد معلم. فكانوا يجتهدون في البحث عن معلم القرآن ويتعاقدون معه ومن بين ما كان يتضمنه العقد هي المدة، والأجرة وعدد الصبيان، وأحيانا كان المعلم لا يحدد العدد وإذا زاد عن الحد الذي لا يقدر عليه استعان بمن يعينه، غير أن هذه الظاهرة كانت قليلة الوقوع في البادية لمحدودية الأطفال عكس المدينة.

ولكن لم يكن باستطاعة أهل بعض قرى البوادي تخصيص معلم لأبنائهم،<sup>29</sup> إما لعدم وجود مكان أو لعدم قدرتهم على أجرته، وأحيانا لقلّة عددهم، ما يجعلهم يأخذون أبنائهم إلى القرى المجاورة التي يكون بها معلم، ولكن هذا الحل كان يخلق في بعض الأحيان خلافات بينهم وبين أهل القرية المستقبلية، حول ضرورة المشاركة في أجرة المعلم، ففي هذا المنحى ورد في إحدى نوازل المازوني أن أناسا من أهل قرية أخذوا معلما لأولادهم، وفي نفس الوقت يقوم بالإمامة، والأذان بالمسجد، ودخل معهم أهل قرية صغيرة مجاورة لهم لتعليم أولادهم، لعدم قدرتهم على أخذ معلم خاص لأبنائهم، فطالبهم أهل القرية المستقبلية بإعطاء الأجرة لمن له ولد عن ولده ومن ليس له ولد عن تكمير المسجد،<sup>30</sup> فرفض من ليس له ولد إعطاء الأجرة .

على الرغم من الأعراف التي كانت تنظم العلاقة بين أولياء الأولاد والمعلم، وكذلك العقد الذي كان يبرم بينهم في البداية إلا أنه كانت تظهر خلافات بين الطرفين، ومنها على سبيل المثال أن بعض الأولياء كانوا يرتحلون قبل انقضاء المدة المتفق عليها فيطلب المعلم أجرته كاملة.<sup>31</sup> وخلاف آخر كان كثير الوقوع وهو وصول الطفل في الحفظ إلى الحذقة،<sup>32</sup> حيث يسكت عنها الطرفين ثم يطلبها المعلم، فيأبى الآباء بحجة أنها لم تكن من ضمن الشروط، فحين كان المعلم يرى عدم

إسقاطها في الشروط يدل على حكمها بالعادة المتعارف عليها في البلد وهذا ما كان يفتي به الفقهاء.<sup>33</sup>

وظاهرة أخرى كانت تتسبب في وقوع الخلاف بين المؤدب والأولياء وهي ظاهرة هروب الأطفال من الكتاتيب، و توقفهم عن مواصلة التعلم فيطالب المعلم بأخذ الأجرة كاملة فحين كان الأب يعطي بحسب ما قرأ الولد.<sup>34</sup> وفي نازلة أخرى عن قوم اتفقوا مع معلم لأولادهم باجرة معلومة، وحصلت مشاجرة بينه وبين أحدهم الطرفين ولم يكمل إلا نصف المدة فطالبهم بنصف الأجرة بينما هم أصروا على إتمام المدة المتفق عليها.<sup>35</sup>

## 5 - ظاهرة خميس الطالب

من أهم مظاهر التي تجلب الانتباه إليها في التعليم عند أهل البادية، ظاهرة "خميس الطالب"، وهذه الظاهرة كانت منتشرة بشكل واسع في معظم بوادي وقرى المغرب الأوسط، ولا نجازف إن قلنا كانت من مميزات التعليم القرآني التي اشتهر بها أهل البادية أكثر من أهل الحواضر، وظلوا يمارسونها حتى تحولت إلى عرف لا يمكن الإقلاع عنه، بقيت هذه الظاهرة طيلة الفترة الزبانية وما بعدها، ولم تندثر إلا في السنوات القليلة الماضية وإن تغيرت التسمية ولكن الظاهرة بقيت كما هي. فالخميس هنا المقصود به يوم الخميس، والطالب يقصد به معلم القرآن إذ درج أهل البوادي على تسمية معلم القران عندهم بالطالب، فقد كانت جميع أسر أهل القرية، أو المنطقة الواحدة يخصصوا نصيبا معلوما مما ينتجون يعطونه للمعلم القرآن يوم كل خميس، سواء ممن له ولد يقرأ أو ممن ليس له ولد، وكان يختلف نوعه ومقداره من قرية إلى أخرى، وقد أفادنا بهذه الظاهرة المازوني في إحدى نوازله، و نظرا لأهميتها نذكرها كاملة؛ فقد سئل أبو الفضل العقباني<sup>36</sup> عما يأخذه المعلم من الزبد في البادية في فصل الربيع يجعلون له مخضة زبد عن كل من بيوت الحلة، على من عنده الولد وعن من لا ولد له يسمونه خميس الطالب<sup>37</sup> هل يسوغ له ذلك أم لا؟ فكان جوابه ما يأخذه المعلم ممن لا ولد له من الزبد سايع له إن قصد المعطي التبرك.

فمن خلال النازلة يمكن أن نستخلص من هذه الظاهرة:

- تخصيص يوم يعطى فيه ( خميس الطالب ) وفي الغالب كان يوم الخميس.
  - تعطى من غالب ما ينتج أهل البلد أو القرية الواحدة
  - قد يتغير هذا الجعل من فصل إلى آخر أي بحسب المنتج الغالب في كل موسم
  - يشارك فيها جميع أهل البلدة بما فيهم من ليس له ولد يقرأ.
- ولكن لماذا اختيار يوم الخميس بالذات دون سائر الأيام الأخرى ؟ وهل هي جزء من الأجرة أم أنها تعطى فضلا عنها؟ وماذا يفعل بها الطالب ولاسيما إذا جمع كمية كبيرة؟

الراجح أن اختيار يوم الخميس الأصل فيه يرجع إلى العادة التي درج على تطبيقها معلمو القرآن الكريم، حيث كانوا يخصصون يوماً معلوماً يعرض فيه الصبيان ما حفظوه من قرآن، و كان يوم الخميس هو اليوم المحبوب من طرف معظم المعلمين، فقد أوصى القابسي بأن " يجعل لعرض القرآن يوماً معلوماً، مثل عشية يوم الأربعاء ويوم الخميس"<sup>38</sup> وكان هذا اليوم أيضاً يمثل نهاية الأسبوع حيث تتعطل الدراسة إلى يوم السبت.<sup>39</sup>

أما عن علاقتها بالأجرة فالظاهر من النازلة السابقة أنها تعطي دون الأجرة فقد جاء في نص النازلة "يجعلون له"<sup>40</sup> أي إعطاء مقدار، كما جاء في النص " يعطيها من له ولد ومن ليس له ولد" إذن هذه العبارة توضح بأنها أعطية وليست أجرة فالذي ليس له ولد غير معني بالأجرة ولكنه مشارك في " خميس الطالب " وجاء في جواب النازلة بجواز إعطائها تبركا لمن ليس له ولد يقرأ و تبرعا لمن كان له ولد.<sup>41</sup>

ويجب الإشارة إلى أن هذه الأعطية يختلف نوعها بحسب المنتج الذي يغلب على أهل القرية أو المنطقة فقد يكون من الزروع، أو من الزبد أو من البيض أو الصوف، والظاهر أنهم كانوا يستبعدون كل ما هو قابل للتلف مع الزمن مثل الحليب أو اللحوم أو ما شابه ذلك.

لاشك أن معلم القرآن كان يتحصل على كمية كبيرة من المواد الاستهلاكية، و من غير المعقول أن يستهلكه كله، فماذا كان يفعل بهذه الكمية الكبيرة التي جمعها؟

لم نجد في المصادر التاريخية إجابة على هذا التساؤل، ولكن مادمت هذه الظاهرة بقيت إلى وقت قريب كما أسلفنا، فقد وجدنا كثير من الناس ممن عايش الظاهرة فسألناهم عنها<sup>42</sup>، وخلصنا إلى أن العرف الذي كان سائداً آنذاك، هو أن معلم القرآن كان يختار تلميذاً يتولى توزيع بعض المهام الخاصة بالطالب (المعلم) على بقية التلاميذ بالتناوب، ومن بين هذه المهام كانوا يتناوبون على رعي ماشية المعلم إن كانت له ماشية، و بعضهم توكل له مهمة بيع ما يتحصل عليه الطالب يوم الخميس، وغير ذلك من المهام لصالح المعلم، من أجل التفرغ للتعليم ولا ينشغل بمهام أخرى.

## 6 - ظاهرة تزويق الألواح

من الظواهر التي تستدعي أن نتوقف عندها، ظاهرة تزويق لوحة حفظ القرآن خلال المناسبات، و عند الحذقة وهذه الظاهرة عرفت انتشاراً واسعاً ولم تتوقف بل ظل وجودها إلى السنين الأخيرة من زماننا هذا؛ قبل الحديث عن هذه العادة الحميدة علينا أن نتوقف عند الحذقة لنعرف ما المقصود بها؟ وما علاقتها بتعليم القرآن؟

جاء في الصحاح حَذَقَ الصبي القرآن والعمل يَحْذِقُ حَذَقًا وحَذَقًا ، وحَذَاقَةً وحَذَاقَةً إذا مهر فيه؛ وحَذَقَ بالكسر حَذَقًا؛ ويقال لليوم الذي يختم فيه القرآن: هذا يوم حَذَاقِهِ.<sup>43</sup>

وقال القابسي الحذق و الحذقة حفظ أو هو حفظ كل القرآن وقراءته في المصحف، فإن نُقص تَعَلَّمَ الصبي في حفظه وقراءته وخطّه فليسقط من الحذقة بقدر ما تعلم، فإن لم يستمر في الحفظ والقراءة في المصحف فلا شيء لمعلمه.<sup>44</sup> يستعمل القابسي الحذقة تارة بمعنى حفظ القرآن كله، وتارة أخرى بمعنى أجره المعلم مقابل حذق المتعلم.<sup>45</sup> وأضاف القابسي محل الحذقة من السور ما تقررت فيه عرفا مثل "الم يكن"، و "عم"، و "تبارك"، و "الفتح"، و "الصافات"؛ وجعل ابن عرفة "الفاتحة" حذقة" بحسب عرفهم.<sup>46</sup>

كانت الحذقة تعد أهم شرط يطرحه معلم القرآن على أبناء الصبية، وأحيانا تترك للعرف السائد عند أهل البلد، لكن في كثير من الأحيان كان هذا يتسبب في خلاف بين الأب والمعلم عندما يتوقف الابن عن مواصلة الحفظ، فيطالب المعلم بحقه في الحذقة بينما يتحجج الأب بأن هذا لم يذكر في الشرط، و في بعض الأحيان كان الصبي يقرأ عند مؤدب ثم يكمل حفظه عند آخر، وقد أفتى الفقهاء بأن يأخذ بقدر ما حفظ الصبي، وإن جاوز الصبي النصف قسمت الحذقة بين المؤدبين.<sup>47</sup> وعندما يصل المتعلم بالحفظ إلى منزلة "الحذقة" يقيم ما يشبه حفل "التخرج"، ليعلم جميع أهل البلد بلوغه الحذقة، فيجتهد من أجل تكريم معلمه تقديرًا له، وذلك من خلال ما سيجمعه من تبرعات، إذ جرت العادة أن يقوم المتعلم "بتزويق" لوحته وذلك بكتابة آيات قرآنية في وسط اللوحة - تكون الآيات دالة على الحذقة التي وصلها المتعلم-، ويرسم في إطار اللوحة أشكال هندسية متناسقة ومزركشة بألوان مختلفة، ثم يحملها ويطوف بها في بلده، وأحيانا يخرج إلى القرى المجاورة، فيتبرعون له كل بحسب قدرته، وفي النهاية يقدم ما جمعه من تبرعات، وهبات لمعلمه اعترافًا بجمله الذي يبذله في تلقين القرآن الكريم، وكان التنافس شديدا بين المتخرجين في "تزويق" لوحاتهم، كل واحد يجتهد لتكون لوحته جذابة ويجمع أكثر من غيره.

## الخاتمة

ختاما يمكن القول أن الناس في بوادي المغرب الأوسط خال العصر الوسيط كان لهم اهتمام كبير بتعليم الأبناء، على الرغم من الصعوبات والعوائق التي واجهتهم. ونظرا للظروف التي كانت تميز البادية جعلت نمط وطرق التدريس فيها يختلفان عما كان عليه في المدينة؛ وكان الشرط التعاقدى بين المعلم والآباء من الأعراف السائدة التي ميزت التعليم في العصر الوسيط في بلاد المغرب الأوسط؛ حيث كان التعليم من اختصاص الأولياء ولم يكن على عاتق الدولة .

انفرد التعليم في البادية بعدة ظواهر تمثلت في طريقة دفع الأجرة للمعلم حيث كانت أحيانا من غالب قوت القرية، وظاهرة خميس الطالب، واهتمام الصبيان بتزويق لوحة الحفظ عند كل ختمة، كما اهتم الصبيان بجمع التبرعات والهبات عند الختمة، ليقدمونها للمعلم عرفانا له بتعليمهم.



## - الهوامش:

- <sup>1</sup> الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، مؤسسة الكويت التقدم العلمي، الكويت، 2001، ج37، ص149
- <sup>2</sup> أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، المطبعة الميرية، بولاق مصر، ج11، ص68
- <sup>3</sup> عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق احمد الزعبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص148
- <sup>4</sup> نفسه، ص150
- <sup>5</sup> نفسه، ص151
- <sup>6</sup> بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2003، ص366
- <sup>7</sup> الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي تـ914هـ/1511م)، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج7، ص36.
- <sup>8</sup> الكتاتيب مفردا الكتاب وهو موضع تعليم القران، وفي الأساس تطلق على الصبيان لا المكان، (الزبيدي ، المصدر السابق، ج4، ص104 )
- <sup>9</sup> الونشريسي، المعيار، ج1، ص139.
- <sup>10</sup> علي عشي، المغرب الأوسط في العهد الموحد، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012 ، ص105
- <sup>11</sup> قاسمي بختاوي، التعليم بالكتاب بالمغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد ، دورية كان التاريخية، العدد الثاني عشر، جويلية 2011، ص34.31
- <sup>12</sup> عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، مصر، ص253
- <sup>13</sup> الونشريسي، المعيار، ج1، ص139.
- <sup>14</sup> الونشريسي، المعيار، ج8، ص25
- <sup>15</sup> بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص372
- <sup>16</sup> أبي زكريا يحي بن موسى المازوني التلمساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط، تحت رقم 827، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ورقة 240 و
- <sup>17</sup> سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني الإمام الفقيه التلمساني تولى القضاء لمدة أربعين سنة ، قاضي الجماعة في بجاية ، و تلمسان وسلا و مراكش، توفي سنة 811 هـ؛ أحمد بابا التتبتكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ت عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص189
- <sup>18</sup> الونشريسي، المعيار، ج8 ص236؛ المازوني، الدرر، و 242ظ
- <sup>19</sup> المازوني، المصدر السابق، ورقة 242 ظ
- <sup>20</sup> الونشريسي، المعيار، ج8، ص240
- <sup>21</sup> المازوني، الدرر، و 240 و
- <sup>22</sup> المازوني، الدرر، و 240 ظ. و 241 و

- <sup>23</sup> الونشريسي، المعيار، ج8، ص 254
- <sup>24</sup> عبد الرحمن بن احمد الوغليسي البجائي علمها و ومفتيها اخذ عنه جماعة من علماء بجاية، له المقدمة المشهورة وفتاوى توفي سنة 786هـ أحمد بابا التتبيكتي، المصدر السابق، ص248
- <sup>25</sup> المازوني، الدرر، و 241و
- <sup>26</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 182
- <sup>27</sup> عبد المالك بكاي، «الأسرة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ /13-16م»،مجلة العلوم الاجتماعية العدد 17 سبتمبر : URL : <http://revues.univ-setif2.dz/index.php?id=749.2013>
- <sup>28</sup> الونشريسي، المعيار، ج8، ص 250
- <sup>29</sup> الونشريسي، المعيار، ج1، ص139
- <sup>30</sup> المازوني، الدرر، و240و
- <sup>31</sup> نفسه، و 242 ظ
- <sup>32</sup> سيأتي الحديث عنها في مبحث لاحق
- <sup>33</sup> المازوني، الدرر، و 241 و
- <sup>34</sup> نفس المصدر والصفحة
- <sup>35</sup> نفسه، و 241 ظ
- <sup>36</sup> أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني امام ومفتي تلمساني تولى قضاء تلمسان في صغره وما رس التدريس توفي سنة 854هـ ودفن بجوار قبر الشيخ ابن مرزوق، أحمد بابا التتبيكتي، المصدر السابق، ص 365
- <sup>37</sup> المازوني، الدرر، و 239ظ.
- <sup>38</sup> القابسي أبو الحسن علي، الرسالة المفضلة، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 287
- <sup>39</sup> الهادي روجر الدولة الصنهاجية ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، 1962، ج2، ص389
- <sup>40</sup> الجعل بالضم ما جعل للإنسان من شيء على شيء يفعل، ( إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط الرابعة، بيروت، لبنان، 1990، ج4، ص1656
- <sup>41</sup> المازوني، الدرر، و 239 ظ
- <sup>42</sup> من اجل الوقوف على هذه الظاهرة يمكن الرجوع إلى معلمي القرآن، والى الذين حفظوا القرآن على نفس الطريقة ولا سيما خلال فترة الاستعمار وما بعده.
- <sup>43</sup> إسماعيل بن حماد المهري، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت، لبنان، 1990، ج6، ص 1456
- <sup>44</sup> الونشريسي، المعيار، ج8، ص248
- <sup>45</sup> القابسي، المصدر السابق، هامش، رقم 1، ص155
- <sup>46</sup> احمد بن أبي جمعة المغراوي، جامع جوامع الاختصار و التبيان، فيما يعرض للمعلمين و للآباء والصبيان، تحقيق احمد جلولي و أحمد بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ت، ص19
- <sup>47</sup> الونشريسي، المعيار، ج8، ص148